بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن دراسة شيء من ألفاظ هذه اللغة الشريفة متعة كبيرة ، وبخاصة إذا تعلق الأمر بكتاب غاية في الرقة والعذوبة فيه ما يؤنس القارئ، ويمتع المستمع، ويجذب اللاهي، فتجتمع القلوب طرباً له، وتنتشي النفوس فتسمو معه ، وكيف لا والكلام يتعلق بوعاء الدموع في القلوب وهذه الأوعية هي ألحانها، وكل هذه تجتمع لتكون حباً وهذا الحب . إن سما . يسمو بالنفوس فيكون سبباً في رقي المشاعر، فربما كان الوصف الذي مضى سبباً في اختيار هذا الموضوع عنواناً لدراسة جزء من هذا الكتاب، الذي اجتمع لمؤلفه كثير من الخير فهو الجهبذ العلامة ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) الذي إذا ذكر كان اسمه دليلاً على ما تحته من احتواء لعلوم شتى ، فأعرضنا عن الخوض في ذكر تفصيلات حياته، واكتفينا بالتعريف بهذا العمل الذي نقدمه، فجاء على مقدمة وبعدها تمهيد ذكرنا فيه التعريف بلفظة الحب وما يتعلق بها وكان بمثابة المدخل لدراسة ألفاظ المحبة، وبعد التمهيد جاء الكلام على ألفاظ المحبة التي لها دلالات لغوية في الكتاب، فتم جمع هذه الألفاظ بعد قراءة الكتاب، ودراسة معاني هذه الألفاظ بحسب متطلبات البحث، وانتهى البحث بخاتمة وذكر لمعين هذا العمل ونعني به ثبت المصادر والمراجع، وهذا الجهد سيكون بعونه تعالى عملاً نافعاً في خدمة هذه اللغة الشريفة عظمها الله تعالى، وعسى أن يتقبل منا الرحمن الرحيم، فهو الذي يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

سنتناول في التمهيد مدخلاً للكلام على رصد آثار المحبة في كتاب الله، وما يتعلق بها ليكون توطئة للبحث في هذا الباب، فقد قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[١]، إذ فسرها العلماء بعدة تفاسير ومنها أنه الغلمة. وروي أن أبا الدرداء كان يقول في دعائه: (أعوذ بك من غلمة ليس لها عدّة)[٢]. وذكر بعض المفسرين أنه الحب والعشق[٣].

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ عام بدليل (ما) ويعني بالطاقة ما فيه مشقة فادحة، فكل ما فيه مشقة وعناية متناهياً في الصغر أو كبيراً ظاهراً وباطناً يدخل تحت عموم هذه الآية. من الهموم بكل أنواعها، وشماتة الأعداء، والتغليظ في العقوبات ، وعذاب النار ، ووسواس النفس وغيرها [٤].

والعشق مخلوق غير مرئي يحمل من الطاقة ما يصعب على العاشق حمله ، ومما يؤيد ثقله قوله تعالى – حكاية عن يوسف عليه السلام- ﴿ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ [٥] . وما ورد أيضاً عن النبي – صلى الله عليه و سلم – في الحديث ، وإن كان في سنده مقال لكنّ متنه معناه في الصحيحين فيؤخذ به في فضائل الأعمال: ((من عشق فعفّ فكتم فمات فهو شهيد))[٦]، لأن العلة في الحديث هو الألم الذي يلاقيه العاشق وهو أكبر إيذاءً من ألم الشوكة المذكورة في الصحيح حين قال النبي– صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا))[٧].

---

١ - سورة البقرة / من الآية : 286 .
٢ - ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 1/394 ، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : 3/30 .
٣ - ينظر : البحر المحيط : 3/139 .
٤ - ينظر : البحر المحيط : 2/369 .
٥ - سورة يوسف / الآية 33 .
٦ - ينظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 98.
٧ - صحيح البخاري : 5/ 2137 ، رقم الحديث: 5317 .

وسبب الألم هو ضعف الإنسان لقلة صبره عن الشهوات وعلى مشاقّ الطاعات ولذا قال تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[١].

((وعن سعيد بن المسيب: ما أيس الشيطان من بني آدم إلا أتاهم من قبل النساء، فقد أتى عليّ ثمانون سنة، وذهبت إحدى عينيّ وأنا أعشو بالأخرى وإنّ أخْوَف ما أخاف عليه فتنة النساء))[٢].

وما دار بين سيدنا يوسف – عليه السلام – وامرأة العزيز هو خير تجربة لرصد أحوال وآثار المحبة والأذى والألم والمعاناة لأن العشق يُقلِق والوجد يُحرِق والمُحبّ لا يلام لغيبة النفس عنه وهو وجد المحبين المحققين، وفي ذلك يقول (المحب) :

أصبحت صبّاً ولا أقول بِمَنْ خوفاً لمن لا يخاف من أحد

إذا تفكرت في هواي له لمست رأسي هل طار عن جسدي؟[٣]

إذ بدأت هذه القصة بالمراودة ، فقال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا ﴾[٤] أي: خادعته عن نفسه، لأنه شغفها حباً، أي: مسّ شغاف قلبها وفي قراءة ﴿شعفها ﴾[٥] أي: دخل تحت شغاف القلب وهو أكثر لطافة وأقوى نسيماً وعنده تستسلم الجوارح فقال ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾[٦] ، ثم همّت به وهمّ بها لولا أنْ رأى برهان ربه، والهم يكون بالقصد والفعل، وصار الهم بالمخالطة، لكن برهان الرب سبحانه وتعالى كان منبعثاً في نفس يوسف – عليه السلام – ؛ لأن شهوة الشباب للنساء إذا هاجت فإنها تُذهِبُ بعقول الرجال وعزائمهم، وفي هذا الموقف الشديد يكسر ما بنفسه ويردّه بالنظر في برهان الله – سبحانه وتعالى – المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب

١ - سورة النساء / من الآية 28 .
٢ - ينظر : الكشاف : 233 .
٣ - شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية : 122 .
٤ - سورة يوسف / من الآية 23 .
٥ - سورة يوسف / من الآية 30 .
٦ - سورة يوسف / من الآية 23 .

المحارم وهذا الميل الشديد المسمّى (همّاً) لا يصبر عليه إلا الأنبياء الذين هم أشد بلاءً ، فاستعظام الصبر على الابتلاء لا يكون إلا ممن أخلصهم الله لنفسه[١].

أما امرأة العزيز فقد بدأت بالمراودة والمخادعة وعزمت وقصدت وهو معنى (همّت به). أما يوسف – عليه السلام – فمالت نفسه من غير قصد ولا عزم وهو معنى (وهمَّ بها) فهذا من باب المشاكلة اللفظية أي: اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ونظيره قوله تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[٢]، فيمكرون: يدبّرون الحِيَل ومَكْرُ الله أن يجعل تدميرهم في تدبيرهم، وميلان يوسف – عليه السلام – من غير قصد ولا عزم لأجل بيان أن حقيقة العبودية والاستسلام والالتجاء والعياذة واللياذة بالله – سبحانه وتعالى – . فالكلام ها هنا إنْ كان من يوسف – عليه السلام – فهو اعتراف بما همّ به على وجه خطورةٍ على قلبه لا على وجه القصد والعزم، وإن كان من كلامها فهو اعتراف بعد اعتراف[٣].

وقيل التقدير: لقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وهمّ بها، وهذا جيد لكن في تأويله قلق ولا يحتاج إلى هذا التأويل إلا على قول من قال: ((إنّ الصغائر يجوز وقوعها منهم))[٤] وحتى هذا القول غير سديد عند أهل التحقيق في قواعد التوحيد، لأن الخطأ والنسيان غير وارد لإفضائه إلى عدم كمال العصمة للأنبياء – عليهم السلام – عما يبلغون لكن هو من قبيل السهو .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[٥] أراد يوسف – عليه السلام – أن يقول: لا حائل عن المعصية ولا قوة على طاعة إلا بالله – سبحانه وتعالى – بدليل نفي البراءة عن نفسه فقلبه وعقله مع الله وبالله ، لكن نفسه البشرية تنازعه، فبدأ هذا الصراع بين القلب والعقل والنفس، ليقرر قاعدة مفادها أن الأمور بكف الإله مقاديرها، وأن النفس مخلوق عجيب له طاقة خارقة وقدرة فائقة لا

---

١ - ينظر : المحرر الوجيز: 3/ 234 ، والتحرير والتنوير :12/47- 48
٢ - سورة الأنفال / من الآية 30 .
٣ - ينظر : معترك الاقران : 2/ 323
٤ - ينظر : البرهان في علوم القرآن : 3/280 ، ومعترك الأقرآن : 2/323 .
٥ - سورة يوسف / من الآية 53 .

يستطيع الإنسان أن يردعها إن لم يتمسك بالله قلباً وقالباً، فأقبل الله - تعالى- بحلّ هيمان القلب والنفس، فاستراح من شدة البلاء في تلك اللحظات العصيبة، ليؤكد أنّ كمال العصمة للأنبياء - عليهم السلام - من الله - سبحانه وتعالى -لأجل التشريع، وليُقتدى بهم بمثل هذا البلاء وفي مثل هذا الموقف الحرج، وهو يخاطب المولى بقوله:﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾[١] أي : أمل إليهنّ[٢].

ولما تمحص توكل النبي – عليه السلام – وضميره الحي وتبين صدقه : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ [٣] فجيء بفاء التعقيب لبيان سرعة الاستجابة، وأكد ذلك بالضمير العجيب في القرآن الكريم فأكد أنه قد سمع فاستجاب ليوسف - عليه السلام- ثم بعد ذلك أرسلت امرأة العزيز إلى النساء لرؤية جمال يوسف – عليه السلام – الذي أخذ بشغاف قلبها، فلما فعل حسن الجمال بعقول وقلوب النساء قالت النساء: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[٤].

هذه القصة بدايتها نظرة ثم تطورت إلى أحوال متعددة وكل حال يمر به العاشق يستشعر بها لذة تتماز عن مرحلة تليها فضلاً عن الشدة والمشقة وهذا التنوع يختلف من ذوق لآخر فبمجرد تلاقي الأرواح واختلاط العقول بالقلوب تظهر أحوال متعددة، كل حال يحتاج إلى اسم يليق به مما له تعلق بمناسبة ولو كانت بين الأضداد، والاجر يكون على قدر العفة والالتزام بالحدود، وهل هناك أذىً أكثر من ألمِ الوجد والغرام والعشق والهوى والجوى؟.

لا يوجد أوضح من لفظ المحبة لبيان مفهوم المحبة، ولا توصف بوصفٍ أقصر منه لأن التعاريف لا تزيدها إلا خفاءً، فحدها وجودها، وما تكلم به الناس من ألفاظ المحبة هو دائر بين ستة أشياء: أولها: أسبابها، وثانيها: موجوداتها، وثالثها: علاقاتها، ورابعها: شواهدها، وخامسها: ثمراتها، وسادسها: أحكامها[٥].

---

١ - سورة يوسف / من الآية 33 .
٢ - ينظر: الدر المصون : 6 / 493.
٣ - سورة يوسف / من الآية 34 .
٤ - سورة يوسف / من الآية 31 .
٥ - ينظر : مدارج السالكين : 3/ 9 ، و بصائر ذوي التمييز : 2 / 416.

ومادة (حبّ) تدور في اللغة على خمسة أشياء: أحدها: الصفاء والبياض، وثانيها: العلو والظهو، وثالثها: اللزوم والثبات، ورابعها: اللُّباب والخلوص، وخامسها: الحفظ والإمساك. وكل ما يذكر من الأحوال والأوصاف فهو من لوازم المحبة وآثارها لا من أسمائها. ووضع العلماء لهذا المعنى حرفين مناسبين غاية المناسبة، إذ (الحاء) من أقصى الحلق و(الباء) من الشفة، والأول للابتداء والثاني للانتهاء، وهذا شأن المحبة أن تكون البداية منه والانتهاء إليه. فهذه دلالة لطيفة ومطابقة ومناسبة عجيبة بين اللفظ والمعنى يطلعنا على قدر لغتنا وشأنها الرفيع على سائر اللغات الأخرى[١].

إن لفظة (الحب) لها لبوس فريد مع شحنة روحية مما يجعلها تتجاوز كونها أصوات مادة معجمية وهي ترسم وتشخّص وتجسّم حالة شعورية، فتحمل في طياتها إشارات دلالية لا يمكن حصرها فتتسع لتدل على دلالات أخرى، فهي لا تتفق في حياد المعجم، فهذه اللفظة أي (الحب) تقوم بوظيفة نقل المشاعر في صيغ مغايرة ، فهي تبث الروح في حنايا الكلمات، وتحتاج إلى وقفة ذوقية لأجل عملية الانتقاء لأن الكلمة سترسم صاحبها بملامح جسدية وملامح ذهنية في سجلٍ خيالي[٢].

لهذا الحب آثار كثيرة لا يمكن حصرها لأن الأرواح والنفوس كلما تشاكلت وتزاوجت مع ما يزاوجها ويشاكلها ظهر فيها أثر يحتاج إلى تسمية فيستعار في كل حالة لفظاً لادنى مشابهة بينهما، فهناك وسعة عجيبة لا تقف في حياد المعجم بل تتسع لتدل على دلالات أشارية متنوعة ومتشعبة.

ذكر ابن القيم–رحمه الله– أسماء المحبة ولوازمها وآثارها وبين اشتقاقها ودراستنا لدلالة هذه الألفاظ ستقوم على أخذ عدد من الألفاظ بأكثرية تاركين الاستقصاء، فضلاً عن أن الانطلاقة ستكون مبنية على التفريق الدقيق بين الصيغ والألفاظ على غرار ما ذكرته المصادر عندما قدم عمرو بن عبيد الله المعتزلي (ت 144هـ) إلى عمرو بن العلاء (ت 154هـ) يسأله قائلاً: ((يا أبا عمرو أيخلف الله وعده؟ فقال:

---

١ - ينظر : تهذيب اللغة (حب) : 4/8 ، وبصائر ذوي التمييز : 2/416-421 .
٢ - ينظر : المفردات : 25- 26 .

أبو عمرو: لا، قال عمرو: أفرأيت من وعده الله على عملٍ عقابٌ أيخلف الله وعده؟ فقال: أبو عمرو: من الحمية أثبت أبا عثمان إنّ الوعد غير الوعيد))[١].

ألفاظ المحبة

1- المحبة:

ذكر ابن القيم - رحمه الله - أن للمحبة عدة اشتقاقات وكلها جاءت بصيغة التضعيف (قيل) فذكر أنها مأخوذة من الصفاء والحَباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد. وبناءً على هذه المعنى فسّر المحبة بأنها غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب. وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات من شدة التصاق قلب الحبيب بالمحبوب. وقيل: مأخوذة من القلقِ والاضطراب، ولهذا سمّى القرُط حباً لقلقه في الإذن واضطرابه. وقيل: مأخوذة من الحُبّ، وهو إناء واسع يوضع فيه الشيء فيمتلئ به بحيث لا يسع غيره، فالمناسبة فيه أنّ قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه. وقيل: مأخوذة من الحُبّ وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع من جرّةٍ أو غيرها وسبب هذه التسمية هو أنّ المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال. وقيل: مأخوذة من حبة القلب وهي سويداؤه وسبب التسمية هو وصول المحبة إلى حبة القلب، وأخيراً ذكر أن المحبة أم الباب[٢].

وفلان مُحبّ من (أحب إحباباً) وهو أن يصيبه مرض أو كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت، والحباب هو غاية الشيء أو مبلغ الجهد ولهذا يعرف الحب بأنه الانتهاء فناءً بالمحبوب، والمحبة اسم الحب وأم الباب ، وإذا أحب الإنسان شيئاً فانه يلصق بالأرض من شدة حبه لذلك الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي ﴾[٣] إذ ذكر ابن منظور هذا التوجيه لكنه نبّه على أن هذا الوجه غير معروف في الإنسان، وإن كان غير معروف إلا أن وجه المناسبة هو شدة لصوق الحبيب بالمحبوب وأنه لا يلصق بغيره والمحبة حالة يجدها المحب من قلبه تلطف

---

١ - طبقات النحويين واللغويين 39.
٢ - ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 27 .
٣ - سورة ص / من الآية 32 .

عن العبارة أي: يدق التعبير عنها أو هي أغصان نفوس في القلب الهائم تثمر على قدر العقول[١].

2-**العلاقة**:

ذكر ابن القيم - رحمه الله - أنها تسمى العلَقَ بوزن الفلَقَ فهي من أسمائها. وذكر نقلاً عن الجوهري أن العَلَقَ يعني الهوى، فيقال: نظرة من ذي علق ، وسبب تسميتها بالعلاقة هو تعلق القلب بالمحبوب[٢].

والإعلاق وقوع الصيد في الحبل والإمساك به، والعلق: الهوى يكون للرجل في المرأة، وعندما يعلق الرجل بكل شيء يصيبه يقال له: ذو معلقة والعلوق ما يتعلق بالإنسان، وقيل: العلّيق: ثمر شوك إذا أنشب فيه شيء لم يكد يتخلص منه لكثرة شوكه. والعَلاقة: الخصومة، بفتح العين، وثوب عَلِقَ: هو ما عَلِقَ به وجذبه. والعِلاقة بكسر العين تستعمل في المحسوسات كعلاقة القوس والسوط ونحوهما، وبالفتح في المعاني كعلاقة المحبة وغيرها[٣].

وكون العلاقة من أسماء المحبة ليس دقيقاً وإن كان في الجملة صحيحاً من حيث المفهوم العام، لأن معاني المحبة لا تحصى وهي مطروحة في الطريق توجد بالقوة في شعور الإنسان، فمتى ما هاجت يُستعار لكل ما له لفظة فيها أدنى مشابهة وهذا الشعور هو الذي يقتضي أي لفظة تستعمل دون غيرها ، لأن مقتضى الحال في آنيّته عند انبثاق الشوق هو الذي يقرر اختيار اللفظة بذوق رفيع وحس مرهف.

3-**الهوى**:

ذكر ابن القيم أنه ميل النفس إلى الشيء، وهو من هوى يهوَى مفتوح العين في المضارع، أما مكسور العين في المضارع (يهوِي) فهو من السقوط. وذكر أنّ الهوى أكثر ما يستعمل في الحب المذموم مستدلاً بقوله تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ

---

١ - ينظر : تهذيب اللغة (حب) : 4/9-10 ، والصحاح (حب) : 1/105- 106 ، والرسالة القشيرية : 398-400 ، ولسان العرب (حبب) : 1/292- 296 .

٢ - ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 30 ، والصحاح (علق) : 4/1529 .

٣ – ينظر : تهذيب اللغة (علق) : 1/163 ، والتعريفات : 157 ولسان العرب (علق) : 262– 268 .

مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[١] وسُمّيَ الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه ، وذكر أيضاً أنّ الهوى لا يستعمل في الحب الممدوح إلا مقيداً ، ومنه ما ورد في الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم–: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))[٢] .

ومنه أيضاً ما ورد حينما سأل إعرابي النبي –صلى الله عليه وسلم – عن الهوى فقال: ((المرء مع من أحب[٣]))[٤].

ويقال: رجل هوٍ، أي: ذو هوى مخامر، وهو مقصور، والهوى: هو الضمير فنقول: هوى يهوَى بفتح الهاء، وامرأة هوية، أي: لا تزال تهوى[٥]والهوى العشق يكون في الخير والشر، وهوى النفس إرادتها، ومحبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه يقال له: الهوى، ومتى ما تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً إلا أن يوصف بما يخرجه عن معناه، كقولهم: هوىً حسن وهوىً موافق للصواب، ولشيء آخر وهو أن الاستعمال قد يغير المعادلة فضلاً عن القرائن الأخرى فيصير الهوى مطلقاً في الممدوح، وقد يستوي الأمران. وقوله تعالى: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[٦] معنى تهوي: تريدهم، وقرأ بعضهم: (تهوى إليهم) أي: تهواهم ، وهي قراءة شاذة [٧]. ومعنى تهوي بالكسر: تنزع، وبالفتح تحبُّ[٨]، من تهوي إليهم تميل إليهم وهذا في المعنى ويخلد إليه ويقيم عليه وذلك لأن الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر من

---

١ – سورة النازعات / الآية 40–41 .

٢ – مشكاة المصابيح : 1/ 59 .

٣ – صحيح البخاري : ٥ / ٢٢٨٣. رقم الحديث : ٥٨١٦.

٤ – ينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين: 30–31 ، والصحاح (هوى): 6/2538 ، والتعريفات: 252.

٥ – ينظر : تهذيب اللغة (هوى) : 6/260 .

٦ – سورة إبراهيم / من الآية 37 .

٧ – ينظر : المحتسب : 1/364 ، ولسان العرب (هوا) : 15/372–373 .

٨ – ينظر : معاني القرآن للنحاس : 1/589 .

ذكره وأقام عليه، ولا يعدّى بـ (إلى) لكنه ضمن ضم معنى تميل فقيل: تميل إليهم[١].

والأفئدة هي القلب والمراد هنا النفس والعقل، فأقحم لفظ الأفئدة ليكون سير الناس إليهم عن شوق ومحبة، حتى كأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد ولا فائدة من كون(من) في الآية الكريمة للتبعيض وإن كانت محتملة، وكونها بيانية هو الذي يسعفه السياق، فيكون المعنى: اجعل أناساً يقصدونه بحبات قلوبهم وحينئذٍ يتوفر سبب الانقطاع إلى العبادة وترك فتنة الكدح والاكتساب[٢].

4-الصّبوة والصّبا :

ذكر ابن القيم أنّ أصلها من الميل، وسميت الصّبوة لميل صاحبها إلى المرأة الصبية، وذكر فروقاً لغوية بين (الصّبا) و (التصابي)، أما الصّبا: فهي نفس الميل، وأمّا الصّبوة: فهي المرّة من ذلك وأما (التصابي) فهو تعاطي الصّبا، وذكر مستدلاً على أصل الكلمة وهو الميل قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [٣، ٤] .

والصّبوة هو الميل ويعني جهلة الفتوّة واللهو من الغزل ومنه التصابي والصّبا، والصّبا من الشوق ، وقوله تعالى: (أصب إليهنّ) أي: أمل إليهنّ ، يقال: صبا إلى اللهو يصبو صَبْواً و صِبْياً إذا مال إليه[٥].

والصبوة: الميل إلى الهوى، لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيم الروح، وقوله تعالى : ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا پ نَفۡسِهِۦ ﴾ [٦] المسند إليه معرفة (التي) وصلتها ((هو في بيتها) ليؤكد الغرض الذي سيقت له الآية، فالمرأة الداعية ليست مجرد

---

١ – ينظر : المحتسب : 1/364 .

٢ – ينظر : التحرير والتنوير : 12/263 .

٣ – سورة يوسف / الآية 33 .

٤ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 31–32 ، ولسان العرب (صبا) : 14/154 .

٥ – ينظر : تهذيب اللغة (صبا) : 12/179 ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : 3/88 ، وفتح الباري : 8/457 .

٦ – سورة يوسف / من الآية 23 .

أنثى، ولكن أكرمت في بيتها مثواه، فالدواعي متوفرة وقاسية ومُجبرة للخضوع ، وفي هذا أعظم ابتلاء، ومع هذا لم ينخدع ولم يخضع، وبهذا يضرب مثلاً في العفة والنقاء، وما قيل من عدم التصريح باسم (زليخا) هو للاستهجان ليس بسديد[1].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[2] ومثار هذه الآية ان يقال: لِمَ لا يبرئ يوسف – عليه السلام – نفسه من الزلل فهذه الجملة الثانية (أن النفس لأمارة بالسوء) هو جواب عن سؤال مقدر أجيب عنه (أن النفس لأمارة بالسوء) هذا هو سر الفصل [3] – والله أعلم –.

ولو تتبعت التعبير القرآني في هذه الآية لوجدت العجب العجاب في تصوير ماهية الحب، وقوة سلطانه إذا هاج القلب واستسلمت الجوارح لمراد الروح وهو ميله ولقاؤه للمحبوب ، فقوله تعالى: (وإلا تصرف عني كيدهنّ) فيه التجاء إلى الله خائفاً راجياً ملازماً للأدب في تبرّئه من حوله وقوته ومتمسكاً ولائذاً بالله من تقلب القلب في الفتنة والميل إلى لذة الحرام لأن هوى القلب عند عشقه يستغرق في عالم الفناء وهذا الأمر جسيم لا يستطيع ردّه الأ الله – سبحانه وتعالى – وفي هذا الامتحان العصيب إذا التجأ صاحبه إلى الله بضمير خالص حيٍّ فإن الله – تعالى – يستجيب دعاءه ، بدليل قوله – عزوجل – (فاستجاب) فجاء بفاء التعقيب إشارة إلى أنّ الله – تعالى – عجّل باستجابة دعائه و (استجاب) مبالغة في (أجاب)، وفاء التعقيب دلّت على أن الاستجابة بدون مهلة، وأكدت هذه بعدها لتقرير هذا المعنى وتحقيقه بالضمير العجيب في القرآن الكريم وهو ضمير الفصل فقال: (إنه هو السميع العليم)، وقوله: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) ولم يقل جاهلاً، لأن هذا العدول في التركيب يدل على نفي الخطوط الكثيرة التي يفعلها الجاهلون، وأنه لا يليق بكونه من المهديين والمهتدين أن يعمل هذا العمل، ولذلك بالغ في التنزّه فقال: (أعوذ بالله)

---

١ – ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي : 166–167.

٢ – سورة يوسف / الآية 53 .

٣ – ينظر : علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم : 166–167 و 190 .

لأن مفارقة المرء فئته التي كان منها لها وقع أليم وشديد ، ويشيب منها رؤوس العقلاء [١].

5- **الشغف**:

ذكر ابن القيم أنه غلاف القلب، أي: جلده، وجاء بها التنزيل في قوله تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[٢] أي: دخل تحت الشغاف نقلاً عن ابن عباس[٣].

والشغف: غشيان الحب قلب المحبوب، وحينئذٍ يقال: أصاب شغافها وإذا وصل الداء إلى الشغاف فلازمه مَرِضَ القلب ولم يصح ، وعن الأصمعي أنّ الشغاف داء في القلب إذا اتصل بالطحال قتل صاحبه، والشغف هو أن يكون الحب بطن المحبوب والشغاف هو الخِلْب وهي جلدة لاصقة بالقلب، والخلب أيضاً من آثار المحبة وليس اسماً من أسمائها، ومنه قيل: خَلبَه إذا بلغ شغاف قلبه، والشغف هو الخرق للشغاف والوصل للقلب والتمكن منه. وقوله تعالى: (قد شغفها حباً) أي: خرق شغاف قلبها. وتمكن منها حتى صارت المراودة ديدناً وسجية لها بدليل قوله تعالى: (تراود) ولم يقل: (راودت) فلذلك خرق حجاب قلبها فأصابها فأحرقها بحرارة الحب [٤].

وقيل: إن الشعف بالعين المهملة البغض وبالعين المعجمة الحب، وغلّط الطبري هذا التوجيه، ولكن عالم العشق يحتمل هذه المعاني لأنّ درجة الفناء في العشق يستعمل لها التعبير بالأضداد لبيان أبلغية هيجان الشعور عند العاشق. ووجه آخر وهو أنّ مجيء (تراود) بصيغة المضارع دون الماضي مع كون المراودة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها وهذا أسلوب بليغ لاستئصال الشكوك من نفوس النساء ولومهنّ لامرأة العزيز [٥].

---

١ - ينظر : التحرير والتنوير : 1/530 و 6/130 و 12/58-59 .

٢ – سورة يوسف / من الآية 30 .

٣ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 32 .

٤ – ينظر : معاني القرآن للفراء : 1/354 ومعجم مقاييس اللغة (شغف) : 3/195 ، والدر المصون : 6/475 ولسان العرب (شغف) : 9/179 ودلالات ألفاظ الحب في شعر ابن الفارض : 41 .

٥ – ينظر : تفسير الطبري : 16/ 68 ، وفتح الباري : 8/457 ، والتحرير والتنوير : 12/54 .

6- **الشعف**:

ذكر ابن القيم أنه إحراق القلب من شدة الحب، وقرأ الحسن (قد شعفها حباً)[١] أي: بطنها حباً [٢].

والشَعَفَة: رأس الجبل يعني أن شدة الحب بلغت نهايتها وذروتها ولهذا فإنّ الحب الشديد يتمكن من سواد القلب لا من طرفه فيجد القلب معها لذة فيقع في القلب ولا يذهب، ومعناه أيضاً: علا حبها على قلبه، ومَنْ ذهب قلبه يقال له: مشعوف، ويقال به شعاف، أي: جنون، فالجنون من لوازم المحبة فنلحظ أن اللوازم والآثار والأحكام للمحبة ينوب ويتضمن بعضها بعضاً توسعاً بالمعنى العام وبالجملة أما دقة من حيث التطابق بمعناه الدقيق فلا ترادف. والشعف: الذعر والخوف والقلق والفزع. وقوله تعالى: قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[٣] أي خرق شغاف قلبها فوصل الحب إلى قلبها فكاد يحرقها بحدة الحب، فهذا فيه قوة إحراق أكثر، فقراءة العين يعني تيمها أي: تيمه الحب إذا عبّده وذلّله فهو متيم وبالغين أصاب شغاف قلبها [٤].

والخلاصة بين الشغف والشعف نستطيع أن نقول: إنّ (شغف) بالغين المعجمة تدل على مس شغاف القلب وأما (شعف) بالعين المهملة فتعني مس الشغاف مع الخرق إلى الفؤاد، والتمكن منه في الإحراق واللوعة؛ لأن حرف العين ألطف وأرق من حرف الغين، لأن من عادة العرب أن يجعلوا أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيقابلون اللفظ بما يشاكل الأصوات من الأحداث، وهو باب لطيف دقيق الصنعة واسع [٥].

فضلاً عن أنّ حرف الغين فيه نوع غلظة وخشونة بخلاف العين فهو أرق من النسيم يلائم اختراقه وسريانه بأن يكون تحت الشغاف، وشيء آخر وهو أنّ الروح

---

١ – ينظر : المحتسب : 1/399 .

٢ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 32 .

٣ – سورة يوسف / من الآية : 30 .

٤ – ينظر : معاني القرآن للفراء : 1/354 ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج : 3/85 ومعجم مقاييس اللغة (شغف) : 3/189 ، والمفردات : 263 ، ولسان العرب (شغف) : 9/177-178 .

٥ – ينظر : الخصائص : 1/509 .

تحتاج إلى لطافة نورانية وتبتعد عن الكثافة الطينية وهو بالعين أقرب في هذا التمكن وبالغين أبعد – والله أعلم –.

7- **الكَلَف** :

ذكر ابن القيم أنّ أصلها من الكلْفَة والمشقّة ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[١]، والمتكلّف: المتعرِّض لما لا يعنيه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[٢، ٣].

ومعنى الكلف هو أن تلزم الشيء لنفسك ، وتزيل عنه الضّيعة والذهاب ، فالعاشق يحافظ على معشوقه فيضعه في قلبه خشية الضيعة. وأصلها من (الكِفْل) وسمّي (ذا الكفل) بهذا الاسم؛ لأنه تكفل بأمرين في أمته فقام بما يجب فيهم[٤].

ورجل مِكْلاف: أي: مُحب للنساء، والمتكلّف هو العرّيض لما لا يعنيه، وفلان كَلِف بأقاربه أي: شديد الحب لهم، والكلف هو الولوع بالشيء مع شغل القلب. والتكلف في الشريعة منهي عنه وهو البحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها، والاخذ بظاهر الشريعة في الغالب وقبول ما أتت به[٥].

والكلف: هو الإيلاع بالشيء ودائماً تصحبه المشقة في تعاطيه وهو قسمان: محمود وهو ما يستعمل في العبادات من تكليف ، ومذموم ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[٦] ورسول الله –ﷺ– والأنبياء بُراء من التكلف[٧].

8- **العشق** :

---

١ - سورة البقرة / من الآية 286 .
٢ - سورة ص / الآية 86 .
٣ - ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 33 .
٤ - ينظر : تهذيب اللغة (كفل) : 10 / 140-141.
٥ - ينظر : لسان العرب (كفل) : 9 / 370 .
٦ – سورة ص / الآية 86 .
٧ – ينظر : المفردات : 441.

ذكر ابن القيم نقلاً عن الجوهري أنّ العشق فرْط الحب ، وأنه إعجاب المحب بمحبوبه ، ويكون في عفاف الحب ودعارته، أي: العفة والفجور ، وقيل : العشق نبت لزج ، وسمّي العشق للصوقه بقلب الإنسان، وقلّ ما ولعت به العرب وأولع به المتأخرون [١].

والعشق تجاوز حد المحبة وسمّي العاشق عاشقاً؛ لأنه يذبل من شدة الهوى، كما تذبل العشقة ُ إذا قُطِعَتْ، والعَشقَة شجرة تخضرّ وتدّقُ وتصفرّ ويقال للكليف عاشق للزومه هواه [٢].

قال المبارك بن أحمد: (الذي جرت به عادة الشعراء أنْ يقولوا: إنّ عين العاشق تنهب وجنة المعشوق بالنظر، فيقتص منه فينهب قلبه)[٣]. وروي لأبي تمام:

أدميـــتَ باللحظـــات وجنتـــه فـــاقتصّ نـــاظره مـــن القلـــب[٤]

ولهذا لا ينبغي للعاشق أنْ يلوم من يلومه في عشقه ولا ينكر ذلك منه لأنه لا يعلم كُنْه البلوى في العشق ، ولو أبتلِيَ به لعرف ما هو وبهذا يكابد من أجل تهيئة العذر لكل من يعشق[٥].

9- **الشوق**:

ذكر ابن القيم أنّه سفر القلب إلى المحبوب، وذكر نقلاً عن الجوهري أنّه ميل النفس إلى الشيء، وذكر أنّ الشوق داعية الاشتياق ومبدأه، والاشتياق موجبه وغايته [٦].

---

١ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 34 ، والصحاح (عشق) : 4/1525 ، ودلالات ألفاظ الحب في شعر ابن الفارض : 42 .

٢ – ينظر : تهذيب اللغة (عشق) : 1/118 ولسان العرب (عشق) : 10/251–252 .

٣ – النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام : 4/144 .

٤ – ينظر : النظام : 4/144 .

٥ – ينظر : دلائل الإعجاز : 355 .

٦ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 37 ، والصحاح (شوق) : 4/1504 .

والشوق: حركة الهوى، ويقال: شاقني حبّها، وذِكْرها يشوقني أي: يهيّج شوقي، ويقال: الشّوَّقُ: العشّاق، ويقال: شُقْ شُقْ إذا أُمِرَ أن يشوِّق إنساناً إلى الاخرة. والشوق يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول باللقاء وللخلق كلهم مقام الشوق، وليس للكل مقام الاشتياق لأنّ من دخل حال الاشتياق هام فيه حتى لا يُرَى له أثر ولا قرار. والمحبة أعلى من الشوق وهي أم الباب ، لأن الشوق من المحبة يتولد[١].

١٠- **الخلابة** :

ذكر ابن القيم أنّه الحب الخادع، وسمّي خلابة لأنه يخدع لِباب أربابه، والحب أحق ما يسمى بهذا الاسم لأنه يخدع لُبَّ المحب وعقله، والخِلْب الخدّاع الكذاب[٢].

وإذا خلبت المرأة قلب الرجل بألطف القول وأخلبه يقال لها: الخِلابة فيقال: امرأة خلاّبة للفؤاد، والخِلْب هو حجاب القلب، فالرجل الذي تحبّه النساء يقال له: إنّه خِلْبُ نساء يعني تحبّه النساء، والخلباء من النساء أي: الخدوع، وهي مما يكثر دورانها باللسان. والخِلْب يكون في العقل والقلب، فالأول يُسْلب والثاني يُذهبُ به فالرجل يسلب المرأة عقلها، والمرأة تخلب قلبه وتذهب به، ويقال فلان خِلْب نساء، أي: يحادثهنّ ويزاورهنّ ويخادعهنّ[٣].

11- **السّدَم** :

هو الحب الذي يتبعه ندم وحزن ذكرها ابن القيم نقلاً عن الصحاح[٤]. والسّدم والسّدم هو الكلَف بالشيء[٥]. والسّدم هو الهمّ والندم وقلَّما يفرد السدم من الندم ، والسدم هو الكثير الذكر ويقال السدم: غيض مع حُزْنٍ ولهذا يقال: السادم المتغير

---

١ – ينظر: تهذيب اللغة (شوق): 9/169 ، والرسالة القشيرية: 407– 408 ، ولسان العرب (شوق): 10/192 .

٢ – ينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 37 .

٣ – ينظر: تهذيب اللغة (خلب) : 7/179 ، ولسان العرب (خلب) : 1/363– 364 .

٤ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 38 ، والصحاح (سدم) : 5/1948 .

٥ – ينظر : معجم مقاييس اللغة (سدم) : 4/166 .

عقله عن الغمِّ فيكون حزيناً لا يطيق ذهاباً ولا مجيئاً، والسدم: اللهج بالشيء، والمسدِّم: الهائج[١].

12- **الغمرات**:

ذكر ابن القيم أنّها ما يغمر القلب من حب أو سكر أو

13- **غفلة** :

وذكر مؤكداً بقوله تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴾[٢] أي: في غفلة غمرت قلوبهم، ويقال: غمرات الحي، وهو ما يغطي قلب المحب فيغمره[٣].

ويدل الغمر على تغطية وستر في بعض الشدة، وسمّيَ بذلك لأنه يغمر ما تحته، وكل شدة غمرة لأنها تغشي وعندما يرمي الشخص بنفسه في الأمور حتى كأنه يقع في أمور تستره فلا يهتدي لوجه المخلص منها وذلك عندما ينهمك في اللهو والباطل[٤].

١٤- **الحزن**:

رفض ابن القيم أن يكون الحزن من أسماء المحبة، وهو حالة تحدث للمحب عند ورود المكروه عليه فهو من لوازمه[٥].

ليت هذا الرفض في كل الأسماء لأنها إما أن تكون من الآثار أو اللوازم أو الأحكام أو أحوال شعورية تعتري العشاق وهي لا تحصى .

والحزن خشونة الشيء وشدته، والحزن يقال لكل ما يحزن من حُزْنِ معاش أو عذاب أو موت أو أي مكروه، وقوله تعالى: (ولا تحزنوا) و(لا تحزن) ليس بنهي عن الحزن لأنه لا يحصل بالاختيار، ولكن حقيقة النهي هي كما في تعاطي ما يورث

---

١ – ينظر : تهذيب اللغة (سدم) : 11/260 ، ولسان العرب (سدم) : 12/283– 284 .

٢ – سورة الذاريات / الآيتان 10–11 .

٣ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 38–39 ، والكشاف : 1050 .

٤ – ينظر : معجم مقاييس اللغة (غمر) : 392– 393 ، ولسان العرب (غمر) : 5/29–30 .

٥ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 41 .

الحزن واكتسابه ، ولذلك قال تعالى﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾[١]، وقال تعالى حكاية عن يعقوب – عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [٢] فحزنه ليس بالاختيار وحزن بهذا الوصف بحاجة إلى شكاية وتضرع إلى الله تعالى [٣].

والحزن هو حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة، وكثرة الأنين تدل على الحزين [٤].

15- **الكمد** :

رفض ابن القيم أنْ يكون الكمد من أسماء المحبة وإنما هو من أحكامها فهو يفرِّق بين المحبة والحكم واللازم للشيء [٥].

والكمَد هو تغير اللون وبقاء أثره وزوال صفاته، وهو حزن وهمّ لا يُستطاع إمضاؤه، والكمد هو الحزن المكتوم وهو أشد الحزن [٦].

16- **اللذع** :

ذكر ابن القيم أنه من أحكام المحبة أيضاً وأصله من لذع النار [٧].

واللذع الإحراق والحرارة، يقال: لذع الحب قلبه، أي: آلمه، واللوذعيُّ هو اللسان الظريف الحديد الفؤاد كأنه يلذع من ذكائه [٨].

17- **الحُرْق**:

ذكر ابن القيم أنه من عوارض الحب وآثاره ويكون من الحب تارة وأخرى من الغيظ [١].

---

١ – سورة فاطر / من الآية 34 .

٢ – سورة يوسف / الآية 86 .

٣ – ينظر : معجم مقاييس اللغة (حزن) : 2/54 والمفردات : 123 ولسان العرب (حزن) : 13/112 .

٤ – ينظر : الرسالة القشيرية : 208– 209 .

٥ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 42 .

٦ – ينظر : تهذيب اللغة (كمد) : 10/76 ، ولسان العرب (كمد) : 3/381.

٧ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 42 وتهذيب اللغة (لذع) : 2/192 .

٨ – ينظر : معجم مقاييس اللغة (لذع) : 5/244 ، ولسان العرب (لذع) : 8/317 .

وإذا كان في الطاعة فإنه تجلٍّ يجذب إلى الفناء، والحُرقة ما يجد في القلب من الوجع، وهو احتكاك الشيء بالشيء فيتبعه حرارة والتهاب، فيجد الإنسان حرقة من لذعةِ حبٍّ أو حزنٍ [٢].

18- **الحنين** :

ذكر ابن القيم نقلاً عن الصحاح أنّ الحنين هو توقان النفس والشوق ، وهو من آثار الحب وموجباته وليس من أسمائه وهو الصحيح وسبب التسمية أنّ الرجل يحنّ إليها أين كان [٣].

والحنين هو شدة البكاء والطرب، أو هو صوت الطرب سواء كان عن حزن أو فرح، وهو يعني أيضاً توقان النفس، والحِنّة: رقة القلب، وامرأة حنّانة ، أي: تحنّ إلى زوجها الأول وتعطف عليه والحنون من النساء هي التي تتزوج رقة على ولدها إذا كانوا صغاراً ليقوم الزوج بأمرهم، وذكِرَ أنّ رجلاً أوصى ابنه أن لا يتزوج الحنّانة وهي التي كان لها زوج قبله؛ لأنها تذكر الأول بالتحزن والأسى والحنين إليه.

وقوله تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٤] فيه دلالة على أنّ الحنين متضمن للإشفاق وهو لا ينفكّ عن الرحمة[٥].

19- **الإستكانة** :

ذكر ابن القيم أنّ أصلها الخضوع، وهي من لوازم الحب وأحكامه [٦].

والسكون يدل على السكون وهو خلاف الحركة والاضطراب، وكل ما سكنت إليه من محبوب فهو السّكن، وسمي بذلك لأنّ الناظر يسكن إلى محبوبه، والشيء الذي يسكِّن عن الاضطراب يسمّى سكّاناً ومنه سكّان السفينة، والسّكن أنْ تُسْكِنَ إنساناً بلا كراء هل رأيت أن عاشقاً أخذ أجراً من معشوقه لأنه سكن سويداء القلب

---

١ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 42 .
٢ - ينظر : تهذيب اللغة (حرق) : 4/30 ، ومعجم مقاييس اللغة (حرق) : 2/43 ، والتعريفات : 91 ولسان العرب (حرق) : 1/42 .
٣ - ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 43 ، والصحاح (حنن) : 5/2104 .
٤ - سورة مريم / من الآية : 13 .
٥ - ينظر : المفردات : 140 ، ولسان العرب (حنن) : 13/129- 131 .
٦ - ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 43 ، وتهذيب اللغة (سكن) : 10/40 .

لا بل إن العاشق هو الذي يعطي أجراً لأنه المستفيد المتلذذ المنتعش، ففي عالم العشاق الموازين والقوانين تختلف[١] .

20- **التّبالة**:

ذكر ابن القيم نقلاً عن الجوهري أنّ معناها أفناهم إذا قيل : تبلهم الدهر وأتبلهم ، وتبله الحب إذا سقمه وأفسده[٢] .

والتّبل: هو سقم الهوى، وهو غلبة الحب على القلب فيهيم ولهذا يقال: قلب متبول[٣].

21- **اللوعة** :

ذكر ابن القيم نقلاً عن الصحاح أنّه لوعة الحب واحتراقه من الشوق[٤] .

وذكر الأزهري أنّ اللوعة هي حرقة الهوى ، ولاع ، يلاع لوعة من الضجر والجزع والحزن، وهو أيضاً وجع القلب والمرأة التّلاعة هي التي تغازلك ولاتمكّنك فهي مليحة بعيدة عن الريبة أو مليحة تديم نظرك إليها من جمالها ، واللوعة حرقة يجدها المحب من الوجد [٥].

22- **الفتون** :

ذكر ابن القيم نقلاً عن الخليل أنّ الفتنة هي الإحراق، وفتنته المرأة إذا ولهته، وهذا يعني أنّ الحب موضع الفتون ، فما فُتِنَ من فُتِنَ إلا بالمحبة[٦].

عندما تريد أنْ تميز بين الجيد والردئ من الذهب والفضة فإنك تذيبهما فعندما يقال: فتنت الذهب والفضة، ومن هذا أخِذ ٰ أصل الفتنة، وهي الجنون. ومنه قوله

---

١ – ينظر : معجم مقاييس اللغة (سكن) : 3/88 ، ولسان العرب (سكن) : 13/212 .

٢ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 44 والصحاح (تبل) : 4/1643 .

٣ – ينظر : تهذيب اللغة (تبل) : 14/207 ، ومعجم مقاييس اللغة (تبل) : 1/363 ، ولسان العرب (تبل) : 11/76 .

٤ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 44 ، والصحاح (لوع) : 3/1281 .

٥ – ينظر : تهذيب اللغة (لوع) : 3/123 ، ومعجم مقاييس اللغة (لوع) : 5/221 ، ولسان العرب (لوع) : 8/328 .

٦ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 44– 45 . وينظر : كتاب العين (فتن) : 3/137 .

تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾[١] ومعنى المفتون الذي فُتِن بالجنون، وللنحاة في (الباء) في قوله تعالى : ﴿ بِأَيِّيكُمُ ﴾ قولان: الأول أنّه مفعول بمعنى المصدر؛ لأنه قال: بأيكم المفتون وهو الجنون، والثاني: في أي الفريقين المجنون، أي: في فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر؟ فأقام (الباء) مقام (في)، والفتنة: المحنة واختلاف الناس بالآراء، والإحراق بالنار، والغلو في التأويل المظلم، وجماع الفتنة: الابتلاء والامتحان، والفتنة الفضيحة في قوله تعالى: وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ ﴾[٢] أي: فضيحته[٣].

23- **الجنون**:

ذكر ابن القيم أنّ أصله السر والحب المفرط هو شعبة من الجنون لأنه يستر العقل فلا يعقل ما ينفعه ويصرّه[٤].

سمّيَ القلب جناناً، لأن الصدر أجنّه أي: ستره في القلب تحت الأضلاع، والجنان: روع القلب، والجِنّة: الجنون؛ لأنه يغطي العقل، والنبات إذا أشتد وخرج زهره يقال: جنّ النبات جنوناً، فهذا من الجنون استعارة كما يجنّ الإنسان فيهيج. والجنان: الستر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾[٥] أي: أظلم حتى حتى ستره بظلمته، وسمّيَ الروح جناناً ، لأن الجسم يُجِنُّ الروح، فإنّت الروح، والجِنّ نوع من العالم سمّوا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار، ولأنهم استجنّوا من الناس فلا يُرَوْنَ وكأنّ الأرواح في سريانها بين العشاق استجنت فلا يراها الناس مع حضورهم،

---

١ – سورة القلم / الآيات : 4–5–6 .

٢ – سورة المائدة / من الآية : 41 .

٣ – ينظر : تهذيب اللغة (فتن) : 14/211–213 ، ومعجم مقاييس اللغة (فتن) : 4/472–473 ، ولسان العرب (فتن) : 13/319 .

٤ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 45–46 .

٥ – سورة الأنعام / من الآية : 76 .

والجنان: القلب لكونه مستوراً عن الحاسّة فإذا حيل بين العقل والنفس يقال : أصيب جنانه[١].

24- الداء المخامر :

ذكر ابن القيم أنه وصف ، وسمّيَ مخامراً لمخالطة القلب والروح ، والمخامرة المخالطة نقلاً عن الجوهري ووجه آخر هو أنّ المخامرة الاستعباد ، كأن العشق مُسْتعبِد للعاشق، فالحب داء مخالط مُسْتعبدِ[٢].

وخامره الداء إذا خامر جوفه، وسمّي الخمر خمراً؛ لأنه يغطي العقل، والخمر: السّكر في القلب، والخمر مسمىً بهذا الاسم لكونه خامراً لمقر العقل[٣].

25- الخلة:

ذكر ابن القيم أنّ الخلة هي التي يتوحد فيها الحب للمحبوب وهي رتبة لا تقبل المشاركة، ولهذا اختص الله –تعالى– الخليلين السيدين إبراهيم ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – وجاء بها التنزيل في قوله –تعالى﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[٤].

وصح عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((لَوْ كنت مُتَّخِذًا من الناس خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ))[٥]. وسمّيت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح وفرّق أيضاً بين الخليل والحبيب ورفض أن يكون الحبيب أفضل من الخليل ؛ لأنه المحبة عامة والخلة خاصة، ولهذا عمّ المؤمنين بالمحبة فقال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[٦] وخصّ الخلة إبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام [٧].

---

١ – ينظر : تهذيب اللغة (جنّ) : 10/267–268 ، ومعجم مقاييس اللغة (جِنّ) : 1/422 والمفردات : 105– 106 .

٢ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 47 ، والصحاح (خمر) : 2/650 .

٣ – ينظر : معجم مقاييس اللغة (خمر) : 2/215 والمفردات : 165 ولسان العرب (خمر) : 4/258 .

٤ – سورة النساء / الآية : 125 .

٥ – صحيح البخاري : 1/ 178 رقم الحديث 455.

٦ – سورة المائدة / من الآية : 54 .

٧ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 48–49 ومدارج السالكين : 3/31 .

ذكر الأزهري أنّ الخليل هو الحبيب، والخليل: المحب الذي ليس في محبته خلل ، فيحب حباً تاماً ، ومنه قوله تعالى-: وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [١] والخلّة هي الصداقة وتكون في عفاف الحب ودعارته[٢].

والخليل: فعيل بمعنى مفعول، وبهذا تكون الخلة مقصورة لله – تعالى فليس فيها متسع لغيره، وهذه مرتبة لا تنال بالكسب والاجتهاد ولكن اختصاص من الله – تعالى – لمن يشاء. ومنهم من ذهب إلى أنّ مقايسة الحبيب بالخليل خطأ ، لأن المحبة فناء ولا يجوز أنْ يخالّه، وردّ الراغب هذا القول فذكر أنّه اشتباه ، لأن الخلة من تخلل الود نفسه ، ومخالطته وامتزاج الأرواح ، والمحبة هي البلوغ بالود إلى حبة القلب . فما جاز في أحد اللفظين جاز في الآخر، وأما إذا استعملت المحبة في الله – تعالى – فالمراد بها أمان ورفع مقام وقرب قريب لا يدانيه أحد[٣].

26- **الهيام** :

ذكر ابن القيم نقلاً عن الصحاح أن هامَ على وجهه يهيمُ، أي: ذهب من العشق ، والهيام كالجنون من العشق [٤].

والرجل إذا أحب المرأة يقال له هام، والهيّام: العشّاق والهيام جنون من العشق، ويقال للرجل إذا استهام مُسْتهام الفؤاد، والهَيْم: هيمان العاشق. والهيام داء يأخذ الإبل عند عطشها فتهيم في الأرض، ولهذا سمي العاشق هيماناً، كأنّه جُنّ من العشق فذهب على وجهه على غير قصد فهو محب شديد الوجد [٥].

27- **التعبد** :

---

١ – سورة النساء / الآية : 125 .

٢ – ينظر : تهذيب اللغة (خلّ) : 6/302 – 304 ولسان العرب (خلل) : 11/216– 218 .

٣ – ينظر : المفردات: 159– 160 .

٤ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 50 ، والصحاح (هيم) : 5/2063 .

٥ – ينظر : تهذيب اللغة (هام – هيم) : 6/246–247–252 ، ومعجم مقاييس اللغة (هيم) : 6/26 ، ولسان ولسان العرب (هيم) : 12/626 – 628 .

ذكر ابن القيم أنّه غاية الحب وغاية الذل ، ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله – تعالى – وهي من أشرف أنواع المحبة [١].

والعَبَدُ: الحزن والوجد، والتعبد: التذلل، وقوله – تعالى– ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٢] أي: إياك نطيع الطاعة التي نخضع معها، وعَبَدَ يدل على لينٍ وذلٍّ، والمتعبد: المتفرد بالعبادة[٣].

١ – ينظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : 51 .

٢ – سورة الفاتحة / الآية : 5 .

٣ – ينظر : تهذيب اللغة (عبد) : 2/138– 141 ، ومعجم مقاييس اللغة (عبد) : 3/272–273 ، ولسان العرب (عبد) : 4/205– 206 .

أهم النتائج

ختاماً لما تقدم لم يبق لدينا غير عرض ملخص لأهم النتائج فضلاً عما تركناه مبثوثاً في أثناء العمل وهي ما يأتي:

- ابن القيم – رحمه الله – يذكر فرقاً دقيقاً بين معاني الألفاظ، فيذكرها أحياناً أنها من الأحكام واللوازم والأوصاف، ويترك هذه الدقائق في الفروق في أحيان كثيرة ويبين أنها من الترادف.
- تفسير الألفاظ عند ابن القيم وهو يشرح اللفظة من خلال ما تحمل من معانٍ يشرحها بألفاظ المحبة لبيان عدد من الآثار وبيان أوصاف لحالة شعورية لا يمكن فهمها من أول وهلة من لفظة أم الباب فهذا دليل على أن هناك دقة وفرقاً بين الألفاظ، فإن كان هذا من حيث دقائق الفرق اللغوي فلا ترادف ، وإن كان بالجملة من حيث المفهوم العام فالترادف موجود.
- لابد من الاعتماد على الأصل اللغوي لفهم حقيقة الألفاظ، ومن ثمّ الاحتكام إلى المقام مقتضى الحال والمناسبة لتحديد دلالة اللفظة التي لا تؤديها كلمة سواها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

المصادر

البحر المحيط: الإمام محمد بن يوسف المعروف بابي حيان الأندلسي (ت749 هـ) ط2، دار الفكر 1398هـ – 1983م

- البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 792 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1377 هـ . 1958 م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، مصر، 1385 م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393 هـ) مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1420 هـ . 2000 م.
- التعريفات: السيد الشريف أبو الحسن بن علي الجرجاني (ت 816 هـ) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370 هـ) إشراف: محمد عوض مرعب، وتعليق: عمر السلامي، وتقديم الأستاذة: فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1421 هـ . 2001 م.
- جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط 1، 1420 هـ . 2000 م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1424 هـ ـ 2003 م.

- الدر المصون في علم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت 756 هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد الخراط، ط 2، دار القلم دمشق، 1424 هـ . 2003 م.
- دلائل الإعجاز: الإمام أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت 471 هـ)، قرأه وعق عليه: أبو فهد محمود محمد شاكر، ط 3، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، 1413 هـ . 1992 م.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف: الإمام أبو القسم عبد الكريم بن هوازن الشافعي (ت 465 هـ)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1419 هـ .1988 م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751 هـ) تحقيق: خالد بن محمد بن عثمان، ط 1، مكتبة الصفا، القاهرة، 1423 هـ . 2002 م.
- شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية: د. عبد الرحمن بدوي، ط4، وكالة المطبوعات – الكويت ، 1978م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت نحو 400 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 3 ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1404 هـ . 1984 م.
- صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) ، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407 هـ . 1987 م.
- طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة.
- علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم: د. حسن طبل، ط2، مكتبة الإيمان بالمنصورة، 1425هـ- 2004م.

- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد ، 1400 هـ . 1980 م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، ط3 1421 هـ . 2000 م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الإمام أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط 1 ، 1423 هـ . 2002 م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري، ط 1 دار صادر بيروت، لبنان.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور: عبد الحليم النجار، والدكتور: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1420 هـ . 1999 م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزي:القاضي أبو محمد عبد الحق بن طالب الأندلسي (ت 546هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ط1 بيروت – لبنان، 1422هـ –2001م،
- مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد وإياك نستعين: الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) ط1 دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،1403هـ –1983م.
- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1985 م.
- معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد ، دار الحديث، القاهرة.

- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207 هـ)، عالم الكتب، ط 3 ، 1403 هـ . 1983 م.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (311هـ) شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده الشلبي، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 1424 هـ . 2004 م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت 911 هـ) ضبطه: أحمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988 هـ.
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين احمد بن فارس (ت 395 هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.
- المفردات في غريب القرآن: الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ)، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن ،المكتبة مصر، 2003 هـ.
- النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام: أبو البركات شرف الدين بن أحمد (ت 637هـ)، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد ، ط2، سلسلة خزانة التراث بغداد، 1989م.